الألفاظ الأيوبية

فى كتاب تقويم النديم

لصاحب المعالى الدكتور محمد رضا الشبيبى
عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

كتاب (تقويم النديم ، وعقبى النعيم المقيم) ، وبهذا الإسم ورد ذكره فى كشف الظنون وفى غيره من فهارس الكتب ، كتاب غير غريب عن المؤتمر ، فقد ورد ذكره فى معرض البحث عن المصطلحات الحرفية ، فى مؤتمر السنة الماضية ، وهو البحث الذى عالجه الأستاذ ماسينيون فى محاضرة لطيفة أشار فيها إلى عناية بعض علماء الشرق بوضع معجم فى ألفاظ الحرف والصناعات ، وكانت لى كلمة فى التعقيب على المحاضرة قلت فيها إن أول من طرق هذا الباب أديب مصرى من أعلام القرن السابع ومن وزراء الدولة الأيوبية فى عصر الكامل بن الملك الصالح أيوب ، وهو الأمير فخر الدين يوسف بن حويه الجوبى ، فى كتاب له سماه « تقويم النديم وعقبى النعيم المقيم » ضمنه جملة صالحة من المصطلحات الحرفية الشائعة فى عصره . وما من شك أن الشريشى فى كتاب هز الفحوف ، والشيخ قاسم الدمشقى فى معجمه نسجا على منوال فخر الدين بن حويه . فهو أقدم أديب عالج هذا الموضوع على كل حال . وقد قلت فيما قلت فى تلك الجلسة إنى لعلى استعداد لإهداء نسختى التى ظفرت بها من الكتاب إلى مكتبة المجمع أو إلى وزارة المعارف المصرية لأن مصر بهذا الكتاب أولى من العراق . هذا ولما قفلت إلى بلدى بعد انفضاض المؤتمر الماضى بعثت بالنسخة المذكورة فوراً إلى الوزارة الشار إليها ضمن كتاب أرسلت نسخة منه إلى مكتب المراقب الإدارى فى هذا المجمع ، فوزارة المعارف هى التى تملك حق التصرف فى الكتاب الآن .

إلى هذا الحين كنت وكان غير واحد من المعنيين بالبحث عن الأصول القديمة يرون أن نسختنا العراقية هى النسخة الوحيدة من هذا الكتاب ، بيد أنى علمت منذ نزلت القاهرة فى منتصف الشهر الماضى حتى الأيام الأخيرة ، فى سبيل التنقيب عن أصول الكتاب فى دور الكتب هنا وهناك ، إلى أن ظفرت بنسختين جديدتين ، توجد إحداهما فى دار الكتب ، والثانية وهى أقدم خطا وأدق ضبطا فى المكتبة الأزهرية ، وإن كانت ناقصة قليلا ولعلها نسخت فى عصر المؤلف ، أو قريباً منه ، فهى أصل يعتمد عليه ، لأن كلا من النسختين العراقية ، ونسخة دار الكتب ، سقيمة لا يوثق بكل ما جاء فيها ، وفيهما ما فيهما من السخ والتحريف والتصحيف .

مؤلف الكتاب مؤلف كتاب تقويم النديم وعقبى النعيم المقيم ، هو الأمير الصاحب فخر الدين يوسف بن صدر الدين محمد شيخ الشيوخ بن حويه الجوبى ، من أعلام مصر فى صدر القرن السابع ، ووزير بنى أيوب ، ومقدم جيوشهم فى عصر الملك الكامل . وآل حويه بيت مشهور نمت إليه عدد من الأعلام ، وحلة السيوف والأقلام ؛ ويراجع عن سيرة المؤلف وأهل بيته كتب التاريخ والطبقات بين أواخر القرن السادس وصدر القرن السابع . وممن ترجم لمنشئ هذا الكتاب السبكى فى طبقاته وترجمته ضافية مستوفاة ، وابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ، وابن أبى شامة فى الذيل على الروضتين . وجل المؤرخين المصريين والشاميين الذين عنوا بتاريخ الحروب التى دارت رحاها فى مصر بين الأيوبيين والفرنسيين فى منتصف القرن السابع وهى حروب طاحنة فى بعض وقائعها أسر ملك فرنسة ، وفى واقعة منها وقعت سنة ٦٤٧ قتل مؤلف هذا الكتاب .

قال ابن أبى شامة فى حوادث السنة المذكورة ما نصه : « فيها قتل فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ وهو آخر أخوته موتا » ، وفى حوادث السنة عينها من النجوم الزاهرة ما نصه : « توفى الصاحب فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ أبى الحسن محمد بن حويه الجوبى كان عاقلا جوادا ممدحا خليقا بالملك محبوبا إلى الناس . ولما مات الملك الصالح نجم الدين أيوب على دمياط ، ندب إلى الملك فامتنع ولو أجاب لما خالفوه ، واستشهد على دمياط » وقال أيضا « ومن الذين ذكر الذهبى وفاتهم فى هذه السنة ، الأمير مقدم الجيوش فخر الدين يوسف ابن شيخ الشيوخ صدر الدين الجوبى فى ذى القعدة شهيداً يوم وقعة المنصورة » وفى تاريخ أبى الفداء وابن الوردى مثل ذلك .

موضوع الكتاب موضوع الكتاب أدبى بل هو سلسلة

نص المحاضرة التى ألقاها الأستاذ بجلسة المؤتمر التى عقدها مجمع فؤاد الأول فى يوم الإثنين ١٥ يناير سنة ١٩٥١

طويلة من المنظوم والمنثور ، ولك أن تقول إنه مقامة واحدة من هذه المقامات الأدبية ، لم يراع فيها التنويع والتقسيم ، فلا عجب إذا اعترى قارىء الكتاب ضرب من السأم ، وإنما قلنا « مقامة » لأن المؤلف استهل الكتاب بقوله « حكى السرور ابن اللذة قال : كنت وشعبة جنون شبابي في عنفوانها ، وصحيفة عمري لم أقرأ منها غير عنوانها » وهذه العبارة شبيهة ببعض عبارات الحريري وغيره من أصحاب المقامات . والمقامة طافحة من أولها إلى آخرها ، بضروب من الإهاض والفحش والجون الذي لا يستساغ نشره فيما أرى وإن نشر الناشرون ما هو أسوأ منه . وقد حاول المؤلف في مواضع عدة من الكتاب تأكيد سلامة نيته ، وحسن قصده في مجونه وعبثه الفاحش ، وأن ذلك مجرد أقوال لم تقترن بأعمال وأفرد فصولا أخرى في أول الكتاب وآخره للدفاع عن نفسه والاعتذار عن شطحاته وبدواته ، وعرض ببعض خصومه الذين نسبوا إليه الجد ، ورموه بسوء القصد ، وزعم أنه نسج على منوال البلغاء ، فيما وضعوه من الكلام منسوبا إلى الجمادات أو ما عزوه من الحكم إلى الحيوانات مثل ما جاء في كتاب كليلة ودمنة وكثير من المقامات ؛ وقد يكون هذا العذر مقبولا لولا أن الجويني أسرف والحق يقال وأفرط في تماجنه وخلاعته من هذا القبيل ، ومع ذلك فإن وجه الانتفاع بنشر جانب من هذا الكتاب ظاهر لعناية المؤلف بتدوين المصطلحات الحرفية الشائعة في عصره على وجه لم يسبق له مثيل .

في مطاوي كتاب تقويم النديم مجموعة ألفاظ ومصطلحات كانت تدور على ألسنة المصريين في عصر الدولة الأيوبية ، وقد عنى المؤلف عناية خاصة بتدوين هذه الألفاظ أو المصطلحات الأيوبية وإنما قلنا « ألفاظ أيوبية » مع أنها لا تخلو من ألفاظ عباسية أو فاطمية من باب التغليب ، أو لأنها أوضاع شاع استعمالها في العصر المذكور بطريقة الاشتقاق أو التوليد أو التعريب أو بطريق من طرق المجاز أو الاستعارة .

قد يكون حفظ هذه المصطلحات وإضافتها إلى تراثنا اللغوي إحدى غايات هذا الأديب من إنشاء هذه المقامة ، كما كان حفظ أوابد العربية إحدى غايات الحريري من إنشاء المقامات ، وبعض هذه الألفاظ أو المصطلحات من أوضاع المصريين في اللغة أو من مصطلحاتهم المولدة .

والقريض في هذا الكتاب كثير وأكثره من إنشاء المؤلف وهو مدمج في النثر . فالجويني شاعر وشعره في طبقة نثره . وله طريقة خاصة في اختيار شواهده الشعرية شرحها في آخر كتابه ولا يخلو أسلوبه من تصنع في المنظوم والمنثور .

المصطلحات الحرفية في الكتاب

تصفحت الكتاب فمرت فيه على مجموعة من المصطلحات والألفاظ الحرفية التي شاع استعمالها في دواوين الدولة الأيوبية ، وعلى ألسنة الجمهور والكتاب في مصر وما إليها من البلاد . وقد وجدت أن أصول كثير منها فصيحة بل عريقة في الفصاحة في تلك العصور ، ولم أجد لبعض ألفاظه ذكراً في المعجمات ، إما لأنها ألفاظ مولدة ، أو أوضاع حادثة في العصور الأيوبية ، ولم أنقل كل الألفاظ أو المصطلحات الواردة في الكتاب ، لكثرة المسخ والتحريف في نسخته ، وليس في وقتي الآن متسع للمقابلة والتحقيق ، ولذلك عنيت بنقل نموذج من ألفاظ الكتاب مع شرح موجز وإيضاح لمعانيها أحياناً . وأما البحث في أصول تلك الكلمات ونقل مذاهب اللغويين وأحكامهم فيها وفي جرار استعمالها فإن له وقتا آخر والأمور مرهونة بأوقاتها ، وهذه هي مصطلحات الكتاب .

الفلاحة والزراعة وما يتصل بالفلاحة

جران ، مشاق ، قلفاط ، جسار ، مرابع ، فلاح ريس قرقورة ، طراح ، منزك ودقاق ، قفاص ، قفاف ، خواص ، تيان ، علاف ، ناخوذاه ربان

جران — صانع الأجران

مشاق وقلفاط — من الألفاظ الداخلة في صناعة السفن

جسار — القيم على الجسر ، وهي شائعة إلى اليوم في العراق فيقولون ، جسار للقيم على الجسر أي (الكوري) باصطلاح المصريين اليوم ، والكوري تركية ولا تستعمل في العراق والشام .

مرابع وفلاح : الفلاح معلوم وأما المرابع فالغالب أنه الفلاح أو الأجير الذى يأخذ ربع الغلة ولا أدرى هل هى شائعة فى مصر اليوم أم لا

ريس قرقورة وطراح : قال الخفاجى فى شفاء الغليل قرقور ضرب من السفن تكلموا به قديماً . هذا كل ما ورد فى شفاء الغليل. وقال الجواليقى فى المعرب من كلام العجم ، القرقور ضرب من السفن أعجمى وقد تكلمت به العرب ، وزاد ابن دريد أنه ضرب من السفن كبار ، ، وفى اللسان ،قيل هى السفينة العظيمة الطويلة. والقرقور أطول السفن وجمعه قراقير. أما الطراح فالأغلب أنهم كانوا يستعملونها فى العصر الأيوبى بمعنى الملاح وما إلى ذلك

مفرك ودقاق . المفرك هو الذى يفرك الحب، قال فى القاموس أفرك الحب آنله أن يفرك، واستفرك فى السنبلة سمن واشتد ، وفرك السنبل دلكه فانفرك . وأما الدقاق فهو بائع الدقيق قال الفيروزآبادى : الدقيق الطحين وبائعه دقاق ، ومن ذلك يعلم أن أفصح الألفاظ والمصطلحات كانت تدور على ألسنة جمهور المصريين فى عصر الدولة الأيوبية

قفاص . قفاف . خواص : القفاص صانع الأقفاص والواحد قفص وهو الذى يحفظ به الطير وغيره. والقفص أيضاً أداة زراعية ينقل بها البر إلى السكدس، والقفاف صانع القفاف أو بائعها واحدتها قفه بالضم وهى معروفة كهيئة القرعة تتخذ من الخوص . قال المجد الفيروزابادى : الخوص بالضم ورق النخل ، والخواص بائعه . ومما يستدرك عليه إناء مخوص فيه على أشكال الخوص

تبان وعلاف : التبان بائع التبن والعلاف بائع العلف قاله فى القاموس وهما لفظان شائعان فى مصر الآن

ناخوذاه وربان : ناخوذاه فارسية معربة استعمالها شائع فى العراق من القديم إلى اليوم بمعنى ربان السفينة ولكنهم يقولون الآن « نوخذه » والظاهر أنها كانت معروفة فى مصر أيضاً بالمعنى المذكور على عهد الأيوبيين ، قال المجد الفيروزابادى فى مادة « نخذه » : « النواخذة » ملاك سفن البحر أو وكلاؤهم معربة الواحدة « ناخذاه » اشتقوا منها الفعل وقالوا تنخذ كتراس

الفاكهة والمأكول والمشروب

من ألفاظ الكتاب فى هذا الباب مواز وقثاح وعنار ورزاز لباعة الموز والقمح والتمر والرز ومن ذلك لبان وسماك وجبان وسمان وهراس وشواء وقلاء والألفاظ الأخيرة شائعة فى أقطار الشرق العربى إلى اليوم

قراب : الغالب أنه صانع القرب جمع قربة أو من يمتهن سق الماء من القربة وهى صيغة مولدة؛ وجائز أن يكون المقصود به صانع الغمد أو القراب

مزار : بائع المزر نبيذ الذرة أو الشعير

عكار : لبائع المكر وهو الخثالة

بداد : العامل فى البد وهى معصرة الزيت قيل إنها مصرية

البناؤون وما يتصل بالبناء

طواب . عجان خراط جباس . مبلط . مرخم . مصور . دهان

طواب : صانع الطوب والطوبة لغة شامية أو مصرية بمعنى اللبن عندنا فى العراق وهو هذا الطين المضروب للبناء

عجان : ورد فى الكتاب مرادفا لكلمة طواب وقد يرد به من يعجن الطين أو غيره من مواد البناء

خراط : من خرط العود إذا قشره وسواه وحرفته الخراطة وهى معروفة بهذا المعنى الآن

جباس وجبال : الجباس هو العامل بالجبس أى الجص والجبال فى العراق هو الذى يجبل الجص ويحمله إلى البناء والكلمة شائعة على ألسنة العراقيين اليوم

المبلط : عامل حرفته فرش الدار بالبلاط؛ والبلاط الحجارة التى تفرش بالدار وكل أرض فرشت بها أو بالآجر، يقال بلط الدار وأبلطها وبلطها فرشها به . والكلمة معروفة الآن فى البلاد المصرية

المرخم : وزان المبلط وهو الذى يعمل فى البناء بالرخام ولا يوجد فى المعجمات، وفى مصر الآن يقولون المرخماتى للمعنى المذكور

مصور ودهان معروفان

حرف الجوهريين والمعدنيين

ذهبى مداد . سكاكينى . براد . مبيض . نحاس صيرفى . نقاد . مرصص . سباك . حجار . طلاع . نشار . حكاك . قفال

الذهبى : بائع الذهب أو الحلى الذهبية

مداد : هو الذى يمد الذهب أو يبسطه ويسويه، من الأوضاع اللغوية المولدة فى عصر الأيوبيين

قفال : صانع الأقفال أو بائعها

البراد : من حرفته برد المعادن من ذهب وفضة وحديد ، وبردها عبارة عن قشرها أو نحتها، والبرد آلته والبرادة هى سحالة المعادن المبرودة

صيرفى ونقاد : معروفان

مرصص : عامل حرفته طلى الأشياء بالرصاص ، قال المجد الفيروزابادى شىء مرصص مطلى بالرصاص

سباك : أصله من سبك المعدن أذابه وأفرغه وهى معروفة الآن

مبيض : أصله من بيض ضد سود والمراد به على الأكثر مبيض المساكن والبيوت بالجص والبورق. وفى العراق يطلقون هذه الكلمة الآن على الماهن الذى يبيض الأوانى بالقصدير

الحكاك : يطلق فى العراق على من يسوى فصوص الخواتم والقلائد وما إلى ذلك ، ولا يعلم المراد منه فى هذا الكتاب

الحرب والسلاح

رماح . زراد . نشابى . قواس . تراس . سياف . صيقل . مشاعلى . نفاط .

رماح : الرماح متخذ الرمح وحرفته الرماحة قاله المجد الفيروزابادى فى القاموس ؛ والرماحة أيضاً فرقة عسكرية تحمل الرماح

زراد : الزراد صانع الزرد والزرد هى الدرع المزرودة

النشابى : نسبة إلى النشاب، والنشاب النبل والنشاب بالفتح متخذه وقوم نشابة يرمون به

القواس : صانع القوس أو الذى يتخذ القوس سلاحا له

تراس : صاحب الترس أو صانعه والتراسة صنعته

الحيوان

فهاد . دباب . قراد . لسائس الفهود والدببة والقرود

كباش . حمار : صاحبا الكباش والحمير . قال فى القاموس الحمارة أصحاب الحمير كالحامرة وهى شائعة فى أقطار الشرق العربى اليوم

الطير . طيورى : الذى يلعب بالطيور والصيغة الأولى شائعة فى العراق اليوم

البراج : القيم على الأبراج . والمقصود بها هنا الأبراج التى تتخذ للطيور

كلابزى : قال فى شفاء الغليل الكلابزة هى معرفة حال الكلاب السلوقية منسوبة إلى سلوق بأرض اليمن . . قيل إن الكلمة معربة

بزدار : صاحب البازى أو الخبير بطباعه وإعداده للصيد معرب كما فى الصحاح؛ ويقال بيزار وجمعه بيازرة . قال فى الشفاء تصرف فيه المولدون حتى قالوا لصناعته (بيزرة) أو (بزدرة) كما فعلوا فى البيطرة وقد وضعت فى هذا الفن كتب بعضها يسمى (كتاب البيزرة) وعندى شىء منها ؛ ويراجع عن هذه المادة كتاب المعرب للجواليقى والتذكرة للانطاكى .

ألقاب الحرم

البلان : أصل هذه الكلمة من مادة البلل وكانت شائعة قديماً بمعنى الحمام ذكرت مرتين فى القاموس فى حرف اللام وفى مادة (البلل) قال المجد الفيروزابادى: البلان كشداد الحمام جمعه بلانات، وقال أيضاً فى حرف النون البلان كشداد الحمام وذكر فى اللام. ومجمل القول أن أصل هذه المادة من البلل ولكن المجد الفيروزابادى لم يخلص إلى رأى معين فى أصالة النون أو زيادتها؛ بيد أن الشارح تدارك ما أهمله المتن. وهاك ما قاله الزبيدى فى التاج « البلان » كشداد الحمام جمعه بلانات والألف والنون زائدتان وإنما يقال دخلنا البلانات عن أبى الأزهر ولأنه يبل بمائه أو بعرقه من دخله ولا فعل له. وفى حديث ابن عمر ستفتحون أرض العجم وستجدون فيها بيوتاً يقال لها البلانات من دخلها ولم يستتر فليس منا. قلت